مجلة دراسات موصلية

مجلة دورية علمية محكمة، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية

ISSN. 1815-8854

تاريخ استلام البحث: ٥/٦/ ٢٠٢٢ تاريخ قبول النشر: ٣/٨ /٢٠٢٢

الرحلات العلمية بين علماء الموصل وبغداد في ضوء كتاب المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدُّبَيْثِيّ للذهبي

(ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)

The Scientific Journeys between the Scholars of Mosul and Baghdad in the Light of "al-mukhtaṣar al-muḥtàdj ilayhi min Ta'rikh" (An Abridgement of Ibn al-Dubaythí's History) by al-Dhahabí (748AH / 1348 AD)

م. د. حنان عبد الخالق علي السبعاوي

جامعة الموصل/مركز دراسات الموصل/ قسم الدراسات الادبية والتوثيق

الاختصاص الدقيق: حضارة عربية اسلامية

Hanan Abdul Khalik Ali Al-Sab'awi

University of Mosul/ Mosul Studies center

Department of Literary studies and documentation

Specialization: Arabic and Islamic Civilization

Available online at https://regs.mosuljournals.com/, ©2020,Regional Studies Center, University of Mosul. This is an open access article under the CC BY 4.0 license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

مجلة دراسات موصلية

مجلة دورية علمية محكمة، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية

ISSN. 1815-8854

ملخص البحث:

إن هذا البحث هو محاولة لبيان دور مجموعة من أعلام الموصل الذين ورد ذكر تراجمهم في كتاب (المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدُّبَيْثِيّ) للذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) فيما يخص رحلاتهم العلمية إلى بغداد في المدة المحصورة ما بين القرنين (السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر للميلاد)، وأما الغرض الأساسي لرحلتهم إلى بغداد فهو للدراسة على شيوخ هذه المدينة وسماع المصنفات العلمية من مؤلفيها، ولشهرة هؤلاء الأعلام فقد تولى بعضهم وظائف مهمة في بغداد. وبالمقابل كانت هناك رحلات معاكسة من بغداد إلى الموصل للغرض السابق ذاته.

الكلمات المفتاحية: الذهبي، الرحلات العلمية، بغداد، الموصل.

Abstract

This paper is an attempt at clarifying the role of a number of distinguished Mosuli people whose biographies were mentioned in (An Abridgement of Ibn al-Dubaythí's History) by al-Dhahabí by Al-Thahabee (748AH / 1348 AD) , as far as their scientific journeys to Baghdad are concerned in the period between the 6th and 7th Centuries AH and the 12th and 13th centuries AD. The main reason behind their journeys to Baghdad was to be taught by the Sheikhs of the city and to listen to the scientific Workbooks from their original authors. Due to the reputation that those distinguished people had, they got important professions in Baghdad. In the opposite direction, there were journeys in the other direction from Baghdad to Mosul for the same reason mentioned earlier.

Keywords: al-Dhahabí, the scientific Journeys , Baghdad, Mosul.

المقدمة:

تعد الرحلة العلمية من أجَلّ الرحلات وأسماها غاية بعد الرحلة إلى الحج، ولعلم الحديث الفضل في رواجها، وهي من الركائز الأساسية التي ينبغي للعالم الإلمام بها وايفاؤها حقها من الترحال إلى المدن والأقاليم المختلفة للدراسة على أيدي العلماء وتأليف الكتب ونسخها ودراستها وطرق نقلها (مطلوب، ١٩٩٢، مج٢، ص ٣٥١-٣٥٣). وقد ورد الحديث عن الرحلات العلمية في كتب التراجم والطبقات التي تمثل أحد أنماط التدوين التاريخي التي تناولت مختلف طبقات المجتمع، كالمحدثين والفقهاء والحكماء والأطباء واللغويين والنحاة والأدباء وغيرهم، فاهتمت بنشاطهم العلمي، بما فيها رحلاتهم العلمية. ومن بين هذه الكتب كتاب المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن سعيد بن مُحَمَّد ابن الدُّبَيْثِيّ (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) انتقاء مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) الذي يعدّ من كتب التراجم المهمة، والذي ضم تراجم العديد من الشخصيات سواءاً أكانوا: محدثين، مقرئين، فقهاء، قضاة، خطباء، وعّاظ، أدباء، ملوكاً... الخ . كما أن للكتاب أهمية علمية بالغة، لاسيما الجزء الثالث منه، لأن مادته جديدة، وغير موجودة فيما بقي من الكتاب

ISSN. 1815-8854

الأصلي الموسوم بـ ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد أو تاريخ الحافظ ابن الدُّبَيْثِيّ، لأن ثلث تاريخ ابن الدُّبَيْثِيّ الأصلي المذكور ما زال مفقوداً، والموجود منه ينتهي إلى نهاية حرف العين(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ٥). فضلاً عن ذلك فإن للكتاب ميزتان: الأولى أن فيه فوائد وإضافات من قَبِل الذهبي، والثانية أنه بخط الذهبي، ونتج من هاتين الميزتين خاصية عظيمة هي صحة ما تضمّنه الكتاب ضبطاً ومادة؛ لأنه بخط إمام عالم ومؤرخ بارع ومترجم متمكن في فن التراجم (الذهبي، ١٩٥٦، ج١، ص ١٨).

وبما أن بغداد كانت تمثل حاضرة الخلافة العباسية واحتضانها لعلوم الأُمة بأسرها بدون منازع قبل سقوطها بيد المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، ونظراً لما كانت تتمتع به من شهرة وسمعة علمية فاقت حواضر الدنيا شرقاً وغرباً وبقية المراكز العلمية، وما عرف عن علمائها من تأصيلهم للعلوم العربية الإسلامية(مطلوب، مج٢، ص ٣٥٣) ، آتت من التطور العلمي الذي شهدته في مختلف مجالات المعرفة، وأصبحت بغداد مركزاً للإشعاع الحضاري، فقد أُنشئت فيها المؤسسات التعليمية من دور علم ومدارس(مُحَمَّد، ١٩٧١، ص ١٨٢). وبذلك أصبحت بغداد قبلة العالم الإسلامي يؤمها العلماء من كل حدب وصوب، وكان تأثيرها العلمي يظهر في الحواضر الإسلامية الأُخرى كدمشق والقاهرة وقرطبة وكذلك الموصل عن طريق العلماء والفقهاء والمدرسين الذين تلقوا معارفهم في بغداد(مُحَمَّد، ١٩٧١، ص ١٨٢) من خلال رحلاتهم العلمية التي كانوا يقومون بها دون أي حواجز تفصل بين مدن العالم الإسلامي(جرجيس، ٢٠٠١، ص ٧٦).

فضلاً عن ذلك كانت هناك رحلات علمية معاكسة من بغداد إلى الموصل فقد غدت الموصل في القرنين (السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد) أحد أهم المراكز الثقافية والعلمية المهمة، وأصبحت لا تقل أهمية ونشاطاً عن مراكز الثقافة الأُخرى(مُحَمَّد، ١٩٧١، ص١٨٢)، وفي ظل ازدهار الحركة العلمية في المدينة، فقد قدم إليها علماء من مدن مختلفة كبغداد، إما للدراسة على علمائها، وإما لنشر علمهم وثقافتهم في هذه المدينة.

ومن هذا المنطلق جاء عنوان البحث عن الرحلات العلمية بين علماء الموصل وبغداد، في كتاب محدد هو المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدُّبَيْثِيّ للذهبي، وتكمن أهمية البحث في أنه لا توجد دراسة مستقلة عن الرحلات العلمية بين علماء الموصل وبغداد، الواردة بالكتاب محل الدراسة. وعلى ضوء ذلك قُسّم البحث إلى النقاط الآتية وهي:

أولاً: التعريف بكتاب المختصر المحتاج إليه.

ثانياً: الأعلام الموصليون الذين رحلوا إلى بغداد .

ثالثاً: الأعلام البغداديون الذين كانت لهم رحلة معاكسة من بغداد إلى الموصل.

الخاتمة.

أولاً: التعريف بكتاب المختصر المحتاج إليه:

إن هذا الكتاب هو في الأصل كتاب ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد الذي ذيل به ابن الدُّبَيْثِيّ على تاريخ بغداد للسمعاني (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)، المذيل على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)(ابن المستوفي،

ISSN. 1815-8854

١٩٨٠، ق١، ص ١٩٤). وواضع هذا التذييل هو جمال الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعيد بن يحيى الواسطي المعروف بابن الدُّبَيْثِيّ(ابن المستوفي، ١٩٨٠، ق١ ص ١٩٤؛ ابن الشعار، ٢٠٠٥، مج٦، ج٧، ص ٨٦؛ السبكي، ١٩٦٤، ج٨، ص ٦١). كانت ولادته بواسط يوم الاثنين في السادس والعشرين من شهر رجب سنة (٥٥٨هـ/١١٦٢م). وسمع الحديث الشريف على مشايخ واسط وإربل وبغداد والحجاز، وطلبه لنفسه، فمن شيوخه: أبو طالب مُحَمَّد بن علي بن أحمد الكتاني (ت ٥٧٩هـ/١١٨٣م)، وأبو السعادات نصر الله بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد القزاز (ت ٥٨٣هـ/١١٨٧م)، وعبد المنعم بن عبد الله الفراوي (ت ٥٨٧هـ/١١٩١م)(ابن المستوفي، ١٩٨٠، ق١ ص ١٩٤؛ ابن الشعار، ٢٠٠٥، مج٦، ج٧، ص ٨٦؛ السبكي، ١٩٦٤، ج٨، ص ٦١). وأما من روى عنه فهم: محب الدين مُحَمَّد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، ومُحَمَّد بن عبد الغني بن شجاع البغدادي المعروف بابن نقطة (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م)، وزكي الدين البرزالي (ت ٦٣٦هـ/١٢٣٨م) وآخرون (السبكي، ١٩٦٤، ج٨، ص ٦٢). وكان لابن الدبيثي تلاميذ دَرَسَوا عليه ومن أهمهم: المحدث والمؤرخ زَكي الدين أبو مُحَمَّد عبد العظيم بن عبد القوي بن سلامة المنذري (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) (ابن العماد الحنبلي، د.ت، ج ٥، ص ٢٧٧). والمؤرخ ابن الساعي تاج الدين أبو طالب علي بن انجب بن عثمان البغدادي (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) (الذهبي، ١٩٩٨، حوادث ووفيات ٦٧١-٦٨٠ هـ، ص ١٦١). وكان ابن الدُّبَيْثِيّ شيخاً صالحاً فاضلاً، حافظاً، من مشاهير أصحاب الحديث وعلمائهم وأعيانهم. وقد أتقن قراءات القرآن الكريم، كما قرأ الفقه، وهو أيضاً ذو معرفة بالتواريخ والوقائع، وله أشعار في الزهد والوعظ(ابن الشعار، ٢٠٠٥، مج٦، ج٧، ص ٨٧) وهو حافظ بغداد ومؤرخها(الذهبي، ١٩٨٨، ج٢، ص ١٤٣) ولنزاهته وعدالته، فقد أصبح من الشهود العدول، وتولى وظيفة الإشراف على الوقف العام من قبل قاضي القضاة، والنظر في أوقاف المدرسة النظامية الشافعية(فهد، ١٩٧٤، مج٣، ع٣، ص ٣١٨). ثم كفَّ بصره آخر عمرِه (الذهبي، ١٩٩٨، حوادث ووفيات، ٦٣٠-٦٤٠هـ، ص ٢٥١)، وكانت وفاته في بغداد يوم الاثنين في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)(ابن الشعار، ٢٠٠٥، مج٦، ج٧، ص ٨٧؛ السبكي، ١٩٦٤، ج٨، ص ٦٢) ودفن بمقبرة الوَرديَّة التي هي مقبرة الشيخ الزاهد شهاب الدين عمر السهروردي(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ٨). وهي مقبرة كبيرة عند سور بغداد مما يلي باب الظَّفريَّة، كان موضعها بستاناً فيه شجر الورد الكثير، فاشتريَّ وجُعل مقبرة ووُقِفَتْ على الناس، فعرفت بالوردية (ابن الساعي، ٢٠١٤، ص٢٥).

ولابن الدُّبَيْثِيّ مؤلفات عدة أشهرها: معجم عن شيوخه، وكتاباً في تاريخ واسط، وفي تاريخ بغداد سماه ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد (السبكي، ١٩٦٤، ج٨، ص ٦٨؛ ابن العماد الحنبلي، د.ت، ج٥، ص ١٨٥). وكتاب الذيل لم يصلنا كاملاً؛ إذ فقدت بعض إجزائه أيَّ ما يعادل ثلث الكتاب مع ما فقد من تراثنا العربي الإسلامي والموجود منه يخص أسماء المحمدين وباقي الكتاب ينتهي إلى نهاية حرف العين(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ٥). وأما المتوفر من الكتاب حالياً، فقد طبع في خمس مجلدات من تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ونشر في دار الغرب الإسلامي بيروت في سنة ٢٠٠٦. وقد احتوى هذا الكتاب على تراجم عن الخلفاء، وولاة عهدهم، والوزراء، وأرباب الولايات، والقضاة، والخطباء، ورواة الحديث، والأدباء، ثم من قدم بغداد من أهل العلم وحدّث بها(الذهبي، ١٩٧٤، ج١، ص ٧٧؛ فهد، ١٩٧٤، مج٣،

ISSN. 1815-8854

ع٣، ص ٣١٩) من أهل النصف الثاني من القرن (السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد) في الغالب والنصف الأول من القرن (السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد)(الذهبي، ١٩٦٣، ج٢، ص ١٥). ورتب ابن الدُّبَيْثِيّ تراجمه على حروف المعجم، إلا أنه بدأ بالمحمدين ثم الأحمدين تيمناً وتبركاً باسم النبي مُحَمَّد (ﷺ). وتكمن قيمة الكتاب في أنه وردت ضمن ترجمات ابن الدُّبَيْثِيّ أمورٌ سياسية وادارية وثقافية وعلمية لتاريخ العراق في عصر المؤلف(فهد، ١٩٧٤، مج٣، ع٣، ص ٣٢٠). فضلاً عن ذلك فقد اعتمد عليه كثيرٌ من المؤلفين الذين جاؤوا بعده، مثلاً ابن النجار (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) في كتابه التاريخ المجدد لمدينة السلام، والقِفطي (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وكتابيه إنباه الرواة على أَنباه النحاة و المحمدون من الشعراء، والمنذري (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وكتابه التكملة لوفيات النقلة(فهد، ١٩٧٤، مج٣، ع٣، ص ٣٢٧) ؛ إذ عدوه المصدر الأول عن تاريخ بغداد في الفترة التي عاشها ابن الدُّبَيْثِيّ(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ١٢).

وفيما يتعلق بكتاب المختصر المحتاج إليه موضوع البحث، فإنه يعد من الكتب المهمة التي اختصرها شمس الدين الذهبي أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان، الذي ولد بدمشق في شهر ربيع الأول من سنة (٦٧٣هـ/١٢٧٤م)(الصفدي، ١٩١١، ص ٢٤١-٢٤٢؛ السبكي، ١٩٦٤، ج٩، ص ١٠٠-١٠١). وقد اهتم الذهبي بدراسة علم القراءات، فدرس القرآن الكريم بالقراءات السبع على قرّاء مشهورين من أمثال شيخ القرّاء جمال الدين إبراهيم بن داؤد العسقلاني المعروف بالفاضلي (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، والشيخ جمال الدين إبراهيم بن غالي الدمشقي (ت ٦٠٨هـ/١٢١١م) والشيخ شمس الدين مُحَمَّد بن منصور الحلبي (ت ٧١٩هـ/١٣١٩م)(الذهبي، ٢٠٠١، ج١، ص ٢٠). وأما الحديث الشريف فقد اعتنى به كثيراً وسمعه من شيوخ كثر من دمشق وبعلبك وحلب وحمص والقدس ومكة المكرمة والمدينة المنورة والقاهرة(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ٤-٥؛ الصفدي، د.ت، ج٢، ص ١٦٣؛ السبكي، ١٩٦٤، ج٩، ص ١٠٢). ومن هؤلاء الشيوخ أحمد بن هبة الله بن عساكر (ت ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) وسمع على جمال الدين يحيى بن رافع الصيرفي (ت ٦٧٨هـ/١٢٧٩م)، وشرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت ٧٠٥هـ/١٣٠٥م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ٤-٥؛ الصفدي، د.ت، ج٢، ص ١٦٣؛ السبكي، ١٩٦٤، ج٩، ص ١٠٢). وإضافة إلى علم القراءات والحديث الشريف، دَرَسَ الذهبي النحو واللغة والأدب والشعر. وبالمقابل، سَمَعَ من الذهبي وروى عنه كثير من العلماء الذين رحلوا من سائر البلاد إليه بدمشق محل إقامته (السبكي، ١٩٦٤، ج٩، ص ١٠٣).

وللذهبي مؤلفات كثيرة، منها قيامه باختصار عدد كبير من أمهات الكتب في شتى العلوم التي برع فيها ومن أهمها التاريخ والحديث الشريف(الذهبي، ٢٠٠١، ج١، ص ٤١). وامتازت مختصراته بأن فيها إضافات وتعليقات وتصحيحات على المؤلف، ومقارنات تدل على معرفته بفن الكتاب المختصر(الذهبي، ٢٠٠١، ج١، ص ٤٦). ومن الكتب التي اختصرها تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) والذيول عليه، وكتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، وكتاب تهذيب الكمال في معرفة الرجال للمزي (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م)(الذهبي، ٢٠٠١، ج١، ص ٥٤-٥٥). أما الكتب التي ألفها الذهبي فمنها: كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،

ISSN. 1815-8854

وكتاب سير أعلام النبلاء، وكتاب العبر في خبر من غبر(الصفدي، د.ت، ج١، ص ١٦٣-١٦٤؛ السبكي، ١٩٦٤، ج٩، ص ١٠٤-١٠٥).

وفيما يخص كتاب المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن سعيد ابن الدُّبَيْثِيّ موضوع البحث، فيعد من أبرز الكتب التي اختصرها الذهبي، نظراً لأنه زاد في كثير من تراجم ابن الدُّبَيْثِيّ، ولاسيما من روى عن صاحب الترجمة، وهو ما أغفله ابن الدُّبَيْثِيّ في تاريخه، فضلاً عن ذلك فإنه أضاف تواريخ وفيات المترجمين الذين لم يذكر صاحب الكتاب الأصلي وفياتهم، وهذا ما فعله ابن الدُّبَيْثِيّ الذي لم يذكر وفاة أحدٌ ممن ذكرهم في كتابه ممن تأخرت وفاته عن سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م)، وهي السنة التي حدّث ابن الدُّبَيْثِيّ فيها بتاريخه، والتي تمثل آخر إخراج له، في حين أن وفيات بعضهم قد تأخرت إلى النصف الثاني من القرن (السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد)، فاستخرج الذهبي وفياتهم ليكون اختصاره أكْمل، ولتكون معلومات الكتاب أتم(الذهبي، ٢٠٠١، ج١، ص ٤٩-٥٠). ونجد أن سبب اختصاره لهذا الكتاب، يرجع لأهمية تاريخ ابن الدُّبَيْثِيّ وقيمته بين التواريخ البغدادية الأصيلة(ابن الدُّبَيْثِيّ، ١٩٧٤، ج١، ص ٥٤). وأيضاً ليستفيد منها في كتبه(ابن الدُّبَيْثِيّ، ١٩٧٤، ج١، ص ٤٥؛ فهد، ١٩٧٤، مج٣، ع٣، ص ٣٢٧). ومما يلاحظ على كتاب المختصر المحتاج إليه، أن الذهبي قد حافظ على ذاتية المؤلف الأصلية، لكنه لم يذكر جميع التراجم بل انتقى منها ما تهوى إليه نفسه، وبالذات المحدثين فقط(ابن الدُّبَيْثِيّ، ١٩٧٤، ج١، ص ٥٥؛ معروف، ١٩٧٦، ص ٢٤٧).

وكتاب المختصر المحتاج إليه مطبوع ومحقق من قبل الدكتور العراقي مصطفى جواد (ت ١٩٦٩م) ومرتب على الأبجدية؛ حيث بدأ باسم مُحَمَّد ثم بالألف وما بعدها(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٦). ويتكون من ثلاثة أجزاء، وهذه الأجزاء بدورها قُسّمت إلى مجلدات، فالجزء الأول يتكون من مجلدين هما الأول والثاني، لأنه يوجد في الصفحة رقم (١٤٩) من الكتاب تم المجلد الأول، وفي نهاية الجزء الأول قال الذهبي "تم المختصر من المجلد الثاني والحمد لله وحده وصلى الله على مُحَمَّد وسلم". وعدد تراجم هذا الجزء خمسمائة وثمانون ترجمة ابتداء من ترجمة رقم (١) باسم مُحَمَّد بن أحمد بن سليمان بن إبراهيم الخطيب أبو الغنائم بن القارئ، وينتهي بترجمة رقم (٥٨٠) باسم الحسن بن علي بن المبارك أبو علي المؤدب، وهذا الجزء طبعته مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٥١. أما الجزء الثاني فهو المجلد الثالث؛ لأنه في نهاية هذا الجزء في الصفحة رقم (٢١٣) كُتِبَ عليه عبارة "تم المختصر من المجلد الثالث". وعدد تراجمه مائتان وست وستون ترجمة، ويبدأ من ترجمة رقم (٥٨١) باسم الحسن بن علي بن نصر بن عقيل العبدي، وينتهي بترجمة رقم (٨٦٦) باسم عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أبي ياسر القصري، وطبع هذا الجزء في مطبعة الزمان ببغداد سنة ١٩٦٣. أما الجزء الثالث فعدد تراجمه خمسمائة واثنتان وسبعون ترجمة، منها خمسمائة وسبعة عشرة ترجمة لعلماء، وخمس وخمسون ترجمة لعالمات بغداديات. ويبدأ من ترجمة رقم (٨٦٧) باسم عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن علي بن زيد بن اللتي، وقد كتب في هذا الجزء في الصفحة رقم (١٦٢) عبارة "تم المجلد الرابع"، أما في نهايته في الصفحة رقم (٢٧٣) "تم المختصر للذهبي في أواخر سنة أربع وسبعمئة من نسخة الوقف بالناصرية في خمس مجلدات والحمد لله". وهذا الجزء راجعه وقدم له الدكتور ناجي معروف، وطُبِع في المجمع العلمي العراقي ببغداد سنة ١٩٧٧.

ISSN. 1815-8854

ثانياً: الأعلام الموصليون الذين رحلوا إلى بغداد:

يمكن القول أن سنوات وفيات الأعلام الموصليين الذين رحلوا إلى بغداد، والذين ورد ذكرهم في كتاب المختصر المحتاج إليه للذهبي، تراوحت وفياتهم ما بين سنة (٥٥٧-٦٣٠هـ/١١٦١-١٢٣١م)، أي ما بين النصف الثاني من القرن (السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد) والنصف الأول من القرن (السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد). وتمثل هذه الفترة حكم الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م)، والمستضيء بأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م) والناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م) الذين في خلافتهم استمر النشاط العلمي ببغداد في تصاعد، والظاهر بأمر الله (٦٢٢-٦٢٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٦م)، والمستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م)، والمستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م). وآخر ثلاثة خلفاء يمثلون العصر العباسي الأخير (٦٢٢-٦٥٦هـ/١٢٢٥-١٢٥٨م) الذي شهد تطوراً علمياً في مختلف مجالات المعرفة وأصبحت بغداد مركزاً للإشعاع الحضاري، فقد أنشئت فيها المؤسسات التعليمية من دور علم ومدارس(مُحَمَّد، ١٩٧١، ص ١٨٢) ، كما حصل في عهد الخليفة المستنصر بالله، الذي اشتهر بإنشاء المساجد والمشاهد والربط، وأنشئت في عهده المدارس ببغداد والبصرة وواسط وغيرها من المدن من قِبل كبار رجال دولتهِ (الياسين، ١٩٧٩، ص ٦٦). وبذلك أصبحت بغداد -كما ذكرنا سابقاً- قبلة العالم الإسلامي يؤمها العلماء من كل حدب وصوب، وظهر تأثيرها العلمي في الحواضر الإسلامية الأُخرى كدمشق والقاهرة وقرطبة وكذلك الموصل عن طريق العلماء والفقهاء والمدرسين الذين تلقوا معارفهم في بغداد(مُحَمَّد، ١٩٧١، ص ١٨٢) من خلال رحلاتهم العلمية التي كانوا يقومون بها دون أي حواجز تفصل بين مدن العالم الإسلامي(جرجيس، ٢٠٠١، ص ٧٦).

وتبعاً لما ذُكِرَ، فقد رحل علماء من الموصل في مختلف التخصصات العلمية، وكان في مقدمتهم المحدثون، وأما السبب الذي جعل الذهبي ينتقي تراجم المحدثين أكثْر من غيرهم هو اعتناؤه بدراسة الحديث النبوي الشريف كثيراً، فدرسَ كتباً كثيرة في هذا العلم وفي سيرَّ رجاله ومعرفة صحيحه من سقيمه وأصيله من موضوعه وطلبه بنفسه(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ٤-٥؛ الصفدي، د.ت، ج٢، ص ١٦٣؛ السبكي، ١٩٦٤، ج٩، ص ١٠٢) ؛ لذلك فهو قد يترك شاعراً مشهوراً أو كاتباً قديراً، ولا يترك محدثاً مغموراً(ابن الدُّبَيْثِيّ، ١٩٧٤، ج١، ص ٥٥؛ معروف، ١٩٧٦، ص ٢٤٧). وتجاوز عدد المحدثين الذين ذكرهم أكثْر من عشرة محدثين. ومن هؤلاء المحدثين أبو الرضا سعيد بن عبدالله القاسم الشهرزوري (ت٥٧٦هـ/١١٨٠م) (الذهبي، ١٩٦٣، ج٢، ص٨٧-٨٨)، وأبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الموصلي (ت ٦٠٩هـ/١٢١٢م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٢٧)، وأبو إسحاق إبراهيم بن المظفر بن إبراهيم الموصلي الذي كان محدثاً وواعظاً (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ٢٣٦). ثم تأتي في الدرجة الثانية تراجم الفقهاء ومنهم أبو المظفر مُحَمَّد بن علوان بن مهاجر الموصلي (ت ٦١٥هـ/١٢١٨م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٠٥) ، وأبو حامد مُحَمَّد بن يونس بن مُحَمَّد بن منعة الموصلي (ت ٦٠٨هـ/١٢١١م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٦٢) ، وعبد الله بن مُحَمَّد بن هبة الله بن أبي عصرون الموصلي (ت ٥٨٥هـ/١١٨٩)(الذهبي، ١٩٦٣، ج٢، ص ١٥٨). وهناك من

ISSN. 1815-8854

جمع بين أكثر من تخصص كالفقه والحديث مثل أبي الفضل مُحَمَّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري (ت ٥٧٢هـ/١١٧٦م) (الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ٥٥)، ثم تأتي بقية التخصصات التي لا يتجاوز عددها الترجمة الواحدة كالمقرئ والنحوي والأديب والخطيب والمؤرخ.

ولرحلة هؤلاء الأعلام الموصليين دافع علمي يتمثل في طلب العلم الذي ينصب في لقاء الشيوخ والعلماء في بغداد والسماع منهم سواء الكتب التي آلفوها أو الدراسة عليهم، لاسيما في مجال العلوم الدينية، وتحديداً فيما يخص الحديث النبوي الشريف والفقه، ثم الدراسة والتدريس في أحد مراكز التعليم كالمدارس، كما أنَّ البعض منهم ولشهرتهم ومكانتهم العلمية، فقد تولوا وظائف مهمة في بغداد كالقضاء، كما منحوا إجازات علمية لبعض شيوخ بغداد، وذكر الذهبي في هذا الصدد مجموعة شخصيات ارتأينا ترتيبها حسب سنوات وفياتها وهي:

١. القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن القاسم ابن الشهروزوري، من أهل الموصل ومن أسرة كان أفرادُها قضاة، وكان أبو عبد الله قد رحل إلى بغداد واستوطنها وتولى قضاءها في اليوم الثامن عشر من صفر سنة (٥٥٦هـ/١١٦٠م)، وبقي في بغداد حتى وفاته سنة (٥٥٧هـ/١١٦١م)(الذهبي، ١٩٦٣، ج٢، ص ٣٧).

٢. الشيخ أبو مُحَمَّد عبد الله بن منصور بن هبة الله الموصلي الذي كان له إلمام بالأدب، فسمع ببغداد من أبي البركات مُحَمَّد بن عبد الله بن يحيى البغدادي (ت ٤٩٩هـ/١١٠٥م) ديوان المتنبي وانفرد به، كما سمع الحديث الشريف من المبارك بن عبد الجبار بن أحمد البغدادي (ت ٥٠٠هـ/١١٠٦م)، وشجاع بن فارس بن حسين البغدادي (ت ٥٠٧هـ/١١١٣م) وغيرهم من المحدثين، وكانت وفاة أبا مُحَمَّد سنة (٥٦٧هـ/١١٧٢م)(الذهبي، ١٩٦٣، ج، ص ١٧٠-١٧١).

٣. الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي الذي برع في أكثر من علم، فقد كان مقرئاً ومحدثاً وعالماً بالنحو، وقدمَ إلى بغداد فسمع الحديث الشريف من شيوخها ومنهم: الكاتب والمحدث هبة الله بن مُحَمَّد بن عبد الواحد بن الحصين البغدادي (ت ٥٢٥هـ/١١٣٠م)، والمحدث أحمد بن عبيد الله بن كادش (ت ٥٥٦هـ/١١٦٠م)، والقاضي مُحَمَّد بن عبد الباقي الأنصاري (ت ٥٣٥هـ/١١٤٠م) ثم رجعَ أبو بكر إلى الموصل واستوطن بها وانتفع الناس من علمه فيما يخص الحديث والقراءات والنحو، وكانت وفاته سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م)(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ٢٤٣).

٤. أبو الفضل مُحَمَّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري، وكان من عائلة ذات شهرة علمية في الموصل، وهو فقيهٌ ومحدثٌ له رحلة إلى بغداد للتفقه وسماع الحديث الشريف على شيوخها، فتفقه على الشيخ الفقيه مجد الدين أسعد بن أبي نصر بن الفضل الميهني (ت ٥٢٧هـ/١١٢٣م)، وسمع الحديث من نور الهدى الحسين بن مُحَمَّد الزينبي (ت ٥١٢هـ/١١١٨م)، كما كان له تلاميذ سمعوا عليه الحديث الشريف أثناء تواجده في بغداد ومنهم المحدث عبد العزيز بن محمود بن المبارك البغدادي (ت ٦١١هـ/١٢١٤م)، والفقيه أحمد بن عبد الله بن أحمد البندنيجي البغدادي (ت ٥٩٣هـ/١١٩٦م)، غير أن رحلة أبي الفضل إلى بغداد كانت رحلة مؤقتة؛ إذ غادرها إلى دمشق وتوفي فيها سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ٥٥).

ISSN. 1815-8854

٥. القاضي والمحدث أبو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري من أهل الموصل الذي سمع الحديث الشريف ببغداد من: المحدث زاهر بن طاهر بن مُحَمَّد الشحامي (ت ٥٤٩هـ/١١٥٤م)، ومن المحدث مُحَمَّد بن عبد الباقي الأنصاري المعروف بقاضي المارستان (ت ٥٣٥هـ/١١٤٠م)؛ وبعد ذلك رجع أبو الرضا إلى الموصل، ثم كانت له رحلة أُخرى إلى بغداد سنة (٥٧٦هـ/١١٨٠م) حيث حدّث فيها فسمع: منه الياس بن جامع بن علي الإربلي (ت ٦٠١هـ/١٢٠٤م)، وأحمد بن صدقة بن نصر البغدادي الحراني الأصل (ت ٦١٨هـ/١٢٢١م)، ثم كانت وفاة أبي الرضا في السنة نفسها التي رحل فيها إلى بغداد أيّ في سنة (٥٧٦هـ/١١٨٠م)(الذهبي، ١٩٦٣، ج٢، ص ٨٧-٨٨).

٦. يوسف بن مُحَمَّد بن علي الموصلي الذي كانت تربطه علاقة بالفقيه أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن مُحَمَّد السهروردي (ت ٥٦٤هـ/١١٦٨م) حيث درس الفقه عليه عندما سافر إلى بغداد، كما سمع من المحدث أبي القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر البغدادي (ت ٥٣٦هـ/١١٤١م)، ومن المقرئ أبي منصور مُحَمَّد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون البغدادي (ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م) وغيرهم، كما أنه حدّث في بغداد، وكانت وفاته في سنة (٥٧٦هـ/١١٨٠م)(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ٢٣٥).

٧. الفقيه أبو سعد عبد الله بن مُحَمَّد بن هبة الله الموصلي الذي قدم بغداد ودرسَ وتفقه بها على شيوخها ومنهم دعوان بن علي بن حماد الجبائي واسعد بن أبي نصر بن الفضل الميهني (ت ٥٢٧هـ/١١٣٢م)، وشيخ القراء مُحَمَّد بن الحسين العلي البغدادي (ت٥٢٧هـ/١١٣٢م)، وأبو البركات هبة الله بن مُحَمَّد بن علي الذي ولد سنة (٤٣٤هـ/١٠٤٢م)، ثم رجع الفقيه أبو سعد إلى الموصل ودرّس بها الفقه سنة (٥٢٣هـ/١١٢٨م)، وكانت وفاته بدمشق سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م)(الذهبي، ١٩٦٣، ج٢، ص ١٥٨-١٥٩).

٨. الفقيه أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين التغلبي الذي كانت له رحلة إلى بغداد لسماع كتب الحديث على شيوخ الحديث فيها، فقد سمع كتاب الترمذي من أبي الفتح عبد الملك بن عبد الله الكرخي (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، كما سمع كتاب سنن النسائي من المقرئ علي والفقيه أبو الحسن علي بن أحمد بن محمويه اليزدي (ت ٥٥١هـ/١١٥٦م) وكان الفقيه أبو القاسم ذا أخلاق حميدة، وقد سمع منه الناس كثيراً وأخذوا عنه الفقه لاسيما في دمشق التي توفي فيها سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م)(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ٣٢).

٩. الخطيب أبو طاهر أحمد بن عبد الله بن علي الموصلي الذي سمعَ الحديث الشريف من جده أبو نصر في بغداد سنة (٥٢٣هـ/١١٢٨م)، ومن أبي البركات مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسين بن خميس (ت ٥٣١هـ/١١٣٦م)، ثم كانت له رحلة ثانية إلى بغداد سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) فسمع من عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف البغدادي (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، ثم رجع بعد ذلك الخطيب أبو طاهر إلى الموصل وتولى الخطابة فيها وكانت وفاته بالموصل أيضاً سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٨٨).

١٠. الشيخ أبو الحرم مكي بن ريان بن شبّه الماكسيني الموصلي الذي كان أديباً وعالماً بالنحو واللغة، وكانت له رحلة إلى بغداد لدراسة النحو واللغة على شيوخها، ومن هؤلاء الشيوخ الذين جالسهم أبو الحرم، واستفاد من علمهم: اللغوي

ISSN. 1815-8854

والشاعر عبد الله بن أحمد بن الخشاب البغدادي (ت ٥٦٧هـ/١١٧٢م)، والأديب علي بن عبد الرحيم بن البغدادي (ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م). وكان أبو الحرم قد برع في العلوم التي دَرَسها، ثم عاد إلى الموصل وتوفي فيها سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م)(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ١٩٥-١٩٦).

١١. الكاتب أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الجزري الموصلي الذي كان له معرفة تامة بالأدب، وكان كاتباً لأمراء الموصل، وكانت له رحلة إلى بغداد سمع فيها الحديث من المحدث عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد ابن كليب البغدادي (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م) ومن الفقيه والمحدث عبد الوهاب بن علي المعروف بابن سكينة البغدادي (ت ٦٠٧هـ/١٢١٠م) وغيرهم، وألّف أبو السعادات كتباً في النحو والحديث، كالنهاية في غريب الحديث والأثر. وذا مكانة علمية؛ حيث انتفع الناس بعلمه وكانت وفاته بالموصل سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ١٧٥-١٧٦).

١٢. الفقيه أبو حامد مُحَمَّد بن يونس بن مُحَمَّد بن منعة الموصلي الذي تفقه على أبيه وقدمَ بغداد لسماع الحديث على شيوخها، ثم رجع إلى الموصل وتولى القضاء فيها، وتوفي فيها سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٦٢).

١٣. المحدث أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم ابن الأكاف الموصلي، والذي يعد من الذين عنوا بجمع الحديث الشريف وطلبه، وقد سمع من شيوخ الموصل وكانت له رحلة إلى الشام وإلى بغداد سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)؛ فسمعَ: من الفقيه والمحدث يعيش بن صدقة بن علي الفراتي (ت ٥٩٣هـ/١١٩٧م)، ومن الفقيه يحيى بن علي بن الفضل (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) ومن الفقيه عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٨هـ/١٢٠١م)، ثم عاد إلى الموصل وحدّث بها وتوفي فيها سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٢٧).

١٤. المحدث أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سرايا البلدي الذي قدم إلى بغداد، وسمع من المحدث أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب (ت ٥٥٣هـ/١١٥٨م)، كما أنه منح إجازة لابن الدُّبَيْثِيّ وكانت وفاته سنة (٦١١هـ/١٢١٤م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٢٧).

١٥. الفقيه أبو المظفر مُحَمَّد بن علوان بن مهاجر الموصلي، وقد سافر إلى بغداد في صباه لدراسة الفقه على شيوخ بغداد، وأقامَ في بغداد بالمدرسة النظامية، ومدرّسها في ذلك الوقت يوسف بن بندار الدمشقي، فدَرَسَ عليه الحديث الشريف ثم عاد إلى الموصل ودرّس فيها وكان بارعاً في الفقه الشافعي، وتوفي سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٠٥).

١٦. الفقيه أبو المعالي مُحَمَّد بن أبي الفرج بن معالي الموصلي الذي رحل إلى بغداد سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦م) للتفقه في المذهب الشافعي، كما أنه قرأ الأدب على أبي البركات عبد الرحمن بن مُحَمَّد الأنباري، وعُين أبو المعالي معيداً بالمدرسة النظامية، فضلاً عن ذلك أقرأ القرآن الكريم بالقراءات وحَدَثَ في بغداد مثل المقرئ والخطيب عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر البغدادي، (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) الذي قرأ على أبي المعالي، والمحدث والمقرئ أبي الفرج عبد الرحمن بن عبد

ISSN. 1815-8854

اللطيف المعروف بابن الفويرة (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) الذي قرأ أيضاً على أبي المعالي الذي توفي في بغداد سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م) (الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٦٨).

١٧. الواعظ أبو إسحاق إبراهيم بن المظفر بن إبراهيم الموصلي الذي ولد بالموصل ثم قدم إلى بغداد وسمع الحديث النبوي على محدثيها ومنهم مُحَمَّد بن عبد الباقي بن أحمد البغدادي (ت ٥٦٤هـ/١١٦٨م)، وعبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد البغدادي (ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م)، وأحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن الرحبي (ت ٥٦٧هـ/١١٧١م). كما قرأ ودَرَسَ الوعظ في بغداد على الفقيه والواعظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي صاحب كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، واثناء تواجد الواعظ أبي إسحاق في بغداد، روىَ عنه وسمعَ منه الفقيه عفيف الدين عبد الرحيم بن مُحَمَّد بن أحمد بن الزجاج البغدادي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، كما منح أبو إسحاق إجازة علمية للمقرئ أحمد بن إسحاق بن مُحَمَّد الأبرقوهي (ت ٧٠١هـ/١٣٠١م)، ولم تكن اقامة أبي إسحاق في بغداد إقامة دائمية؛ إذ رجع إلى الموصل وحدّث فيها وكانت وفاته فيها أيضاً سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ٢٣٦-٢٣٧).

١٨. المحدث أبو عبد الله الحسين بن عمر بن نصر بن باز الموصلي الذي سمع الحديث النبوي من أبيهِ في الموصل وفي بغداد سمع من العالمة والمحدثة فخر النساء شُهدة بنت أحمد بن الفرج البغدادية (ت ٥٧٤هـ/١١٧٨م)، ومن المحدث عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد اليوسفي البغدادي (ت ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)، وأما من روى عنه من بغداد فهو المقرئ أحمد بن إسحاق بن مُحَمَّد الأبرقوهي (ت ٧٠١هـ/١٣٠١م)، ثم رجع ابن باز إلى الموصل وتولى مشيخة دار الحديث المظفرية، وكانت وفاته سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)(الذهبي، ١٩٦٣، ج٢، ص ٣٦).

١٩. الخطيب أبو الفضل عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد الطوسي وهو من عائلة من الموصل، اشتهر بعض أفرادها بفن الخطابة، و سمعَ هذا الخطيب من جده بالموصل وببغداد من المقرئ أبي الكرم المبارك بن الحسن بن أحمد الشهرزوري (ت ٥٥٠هـ/١١٥٥م)، ولشهرة هذا الخطيب فقد حدّث في بغداد سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م)، لذلك فمن المحتمل أن رحلتهُ إليها كانت في هذه السنة، كما قرأ عليه ابن الدُّبَيْثِيّ ومنحه إجازة علمية، وروى عنه أبو المعالي أحمد بن إسحاق بن مُحَمَّد الأبرقوهي (ت ٧٠١هـ/١٣٠١م) ثم كانت وفاة أبي الفضل سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ٨٨).

٢٠. العالم والمؤرخ أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري الذي ولد بجزيرة ابن عمر ونشأ بها، ثم انتقل إلى الموصل وسكن فيها، ودرس على شيوخها المشهورين في المدينة علم الحديث وسمعَ منهم كما برع في التاريخ، وكانت له رحلة إلى بغداد رسولاً من قبل حاكم الموصل، إلا أن الذهبي لم يشر إلى طبيعة تلك المهمة التي كلّف بها ابن الأثير وفي عهد اي حاكم من حكام الموصل كما لم يشر إلى السنة التي زار فيها بغداد (الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص١٣٩). وذكر هذه المهمة صاحب كتاب الفخري في الآداب السلطانية حيث أورد خبراً يؤكد فيه قيام عز الدين بن الأثير بالسفارة في عهد الاتابك الزنكي نور الدين أرسلان شاه الأول بن عز الدين مسعود الأول صاحب الموصل (٥٨٩-٦٠٧هـ/ ١١٩٣-١٢١٠م) إلى الخليفة الناصر في بغداد، فقد طلب الملك من كاتبه أبي السعادات المبارك (أخي

ISSN. 1815-8854

المؤرخ) أن يختار له سفيرًا أمينًا. وهذا نص "الفخري": "قيل إن صاحب الموصل قال لأبي السعادات: أريد أن تعيّن لي في هذه الساعة رجلاً دَيّنًا أمينًا، يكون موضعًا للسرّ، حتى أُحمّله مشافهةً سريةً إلى الخليفة، ويتوجه في هذه الساعة. فأفكر أبو السعادات ساعةً، ثم قال: يا مولانا ما أعرف أحدًا بهذه الصفة إلا أخي، قال: فقم وعرّفه ذلك، وأرسله إلى داره. فحكى أبو السعادات لأخيه ما جرى عند الملك، وقال له: يا أخي والله ما شهدتُ لك إلا بما أعرفه منك، فتوجّهْ إلى خدمه الملك وامتثل ما يشير به. فحضر ابن الأثير عند الملك وشافهه بالمراسلة، وقال له: تتوجّه في هذه الساعة. فحضر ابن الأثير إلى داره ليودّع أخاه، فوجده قائمًا في الدهليز ينتظره، فقال له: شافهك السلطان بالحديث؟ قال: نعم. قال: فما هو؟ قال: يا أخي الساعة شهدتُ لي عنده بالدّين والأمانة، وحفظ السر، فيجوز أن أكذّبك في الحال؟ قال لي شيئًا ما أقوله إلا لمن أمرني أن أقوله له"، فبكى أبو السعادات من رد أخيه ودعا له. (ابن الطقطقي، ١٩٩٧، ص ٦٢). واثناء تواجد ابن الأثير في بغداد، فقد التقى بشيوخها وأخذ وسمع منهم الحديث، ومن هؤلاء الفقيه والمحدث يعيش بن صدقة بن علي الفراتي (ت ٥٩٣هـ/١١٩٧م)، والمحدث عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن كليب البغدادي (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م)، ولم يبق ابن الأثير في بغداد حيث رجع إلى الموصل ولزم بيته منقطعاً للتأليف والتصنيف وكانت وفاته فيها سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٣م)(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ١٣٩).

ثالثاً: الأعلام البغداديون الذين كانت لهم رحلة معاكسة من بغداد إلى الموصل:

وردت سبع تراجم لعلماء مشهورين من بغداد، معظمهم كانوا محدّثين رحلوا إلى الموصل لدافع علمي بحت يتعلق بطلب العلم المتمثل بلقاء الشيوخ والعلماء من الموصل، والاستفادة من العلوم التي اشتهروا بها والسماع منهم لاسيما في مجال الحديث النبوي، وفي الوقت ذاته نشر علمهم وثقافتهم في المدينة عن طريق انتفاع الناس منهم. لذلك كان الذهبي في بعض هذه التراجم يشير إلى علماء الموصل الذين سمعَ منهم شيوخ بغداد، وفي تراجم أُخرى لا يذكر هؤلاء الشيوخ. وقد يذكر أيضاً السنة التي قدموا فيها إلى الموصل، وفي تراجم أُخرى لا يذكر السنة. وأما السبب الذي جعل هؤلاء العلماء أو الشيوخ يتخذوا من مدينة الموصل مقصداً لرحلتهم العلمية فهو أن المدينة قد شهدت في عهد الدولة الأتابكية ازدهاراً فكرياً وعلمياً وثقافياً بحيث أصبحت لا تقل أهميتها عن أكبر مراكز العلم في البلاد الإسلامية، وتمثل هذا الدور في تشجيع الدولة للعلم والمعرفة والاهتمام بالعلماء والأدباء، كما اهتموا بإنشاء العديد من مراكز العلم كدور الحديث والمدارس والمساجد. وعزز الأتابكة هذه النهضة العلمية بما أغدقوا على العلماء من العطايا الكثيرة، وبما كانوا يقدمونهُ من التسهيلات لطلاب العلم الذين يدرسون في مدارسهم (الديوه جي، ١٩٥٨، ص٩٥-٩٦). كل ذلك جعل من مدينة الموصل مركز جذب للعلماء بسبب تطورها الحضاري، مما شجعَ الكثير من العلماء على الرحلة إليها أو السكن فيها (جرجيس، ٢٠٠١، ص٢٣). واما العلماء الذين رحلوا من بغداد إليها ورتبوا وفق سنوات وفاتهم، فهم:

١- النحوي أبو مُحَمَّد سعيد بن المبارك بن علي المعروف بابن الدّهان البغدادي الذي ولد ونشأ في بغداد، وكان عالماً بالنحو واللغة ويقول الشعر، ودَرَسَ على شيوخ مدينته وله مؤلفات منها شرح كتاب الايضاح في مجلدات كثيرة، وشرح اللُّمع لابن جنيّ في عدة مجلدات، وقد قَدِمَ في أواخر عمره إلى الموصل وسكن فيها، لكن لا نعرف متى سافر إلى

ISSN. 1815-8854

الموصل، وقد أكرمه الوزير جلال الدين الجواد الأصفهاني (٥٥٩هـ/ ١١٦٤م)، فأقام يقرئ الناس وأخذ عنه أهلها، وبقى في الموصل حتى توفي فيها سنة (٥٦٩هـ/١١٧٤م)(الذهبي، ١٩٦٣، ج٢، ص ٨٥-٨٦).

٢- الخطيب والمحدث أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن مُحَمَّد الذي ولد ببغداد ونشأ بها ثم سافر إلى الموصل، وتولى الخطابة والتحديث فيها، فحدَّث وسمع منه شيوخ الموصل ومنهم: الحافظ والمحدث عبد القاهر بن عبد الله بن عبد الرحمن الرهاوي (ت ٦١٢هـ/١٢١٥م)، وبهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد الموصلي (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، والمؤرخ أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، ثم كانت وفاة أبو الفضل بالموصل سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م)(الذهبي، ١٩٦٣، ج٢، ص ١٣١-١٣٢).

٣- المحدث أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن السمين البغدادي الذي كان له شيوخ من بغداد سمع عليهم الحديث النبوي، ثم رحلَ إلى الموصل وحدّث بها وانتفع الناس من علمه ومن الذين رووا عنه الامام والفقيه والمحدّث تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري الموصلي المعروف بابن صلاح (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م). وكانت وفاة أبي جعفر بالموصل أيضاً سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م) (الذهبي، ١٩٦٣، ج٢، ص ١٨٩).

٤- المقرئ أبو مُحَمَّد عبد الجبار بن أبي الفضل بن الفرج الأزجي الذي قرأ القراءات في بغداد على أبي الكرم الشهرزوري، وقد أقرأ القرآن وحدّث مدة في بغداد، ثم رحل إلى الموصل وأقرأ الناس القرآن الكريم أيضاً وانتفعوا بعلمه، إلا أنه لم يقمَ إقامة دائمة في الموصل؛ فكانت وفاته بتكريت سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)(الذهبي، ١٩٧٧، ج٣، ص ٥٣-٥٤).

٥- المحدث أبو مُحَمَّد عبد الله بن أحمد بن أبي المجد الحربي الذي كان له شيوخ من بغداد سمع عليهم الحديث النبوي، ثم رحل متوجهاً إلى الشام سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م)، فبلغ الموصل وبقى فيها يسمع أهلها الحديث النبوي حتى وفاته فيها سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م)(الذهبي، ١٩٦٣، ج٢، ص ١٣٣-١٣٤).

٦- المحدّث أبو العباس أحمد بن سلمان بن أبي بكر بن الأصفر الحريمي الذي قدم إلى الموصل وحدّث فيها، كما أنه توفي بها سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٨٢-١٨٣).

٧- المحدث أبو الحسن مُحَمَّد بن أحمد بن عمر القطيعي الذي اسمعه ابوه الحديث النبوي من شيوخ مشهورين من بغداد، فضلاً عن ذلك فقد جمع تاريخاً لبغداد في كتاب ذكر فيه محدثيها، (الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص١٩-٢٠). وهو كتاب دُرَّت الإكليل في تتَمِّة التذَّييل، في خمسة مجلدات ولم يتمه وهو مفقود (القدحات، ٢٠١٥، ع١١، ص٨٩٤-٨٩٥). وكان ابن الدُّبَيْثِيّ قد سمع منه كتاب صحيح البخاري، كما أنه سمعَ بالموصل من أشهر شيوخها الحديث النبوي عندما سافر إليها وهم الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي، والمقرئ المحدث أبي بكر يحيى بن سعدون الأزدي القرطبي (ت ٥٦٧هـ/١١٧١م)، وكانت وفاة أبو الحسن سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٧م)(الذهبي، ١٩٥١، ج١، ص ١٩-٢٠).

الخاتمة

ISSN. 1815-8854

تبين لنا من خلال هذا البحث:

١. القيمة التاريخية لكتاب المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) الذي انتقاه الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) فيما يخص الرحلات العلمية بين علماء الموصل وبغداد، التي عُدّت في القرن السابع الهجري من اهم الحواضر العربية الإسلامية وقبلة العالم الإسلامي يؤمها العلماء من كل حدب وصوب، وكذلك مدينة الموصل التي كانت من بين اهم المدن الإسلامية التي قصدها علماء من مدن مختلفة.

٢. بلغ مجموع العلماء الذين ورودوا في مختصر الذهبي مما كانت رحلاتهم من الموصل إلى بغداد (٢٠) عالماً، بينما عدد العلماء الذين رحلوا من بغداد إلى الموصل فهم (٧) علماء، والسبب في أن الذين انتقلوا من الموصل إلى بغداد أكثْر من بغداد إلى الموصل يرجع إلى مكانة بغداد وأهميتها، وأنها مركز الحضارة والعلم والثقافة.

٣. أن الدافع العلمي المتمثل بلقاء الشيوخ والعلماء والسماع منهم هو سبب رحلة العلماء من الموصل إلى بغداد وبالعكس، إلا أنه في بعض الأحيان لا يُذكر الشيوخ الذين التقوا بهم هؤلاء العلماء، وفي أحيان أُخرى يشير الى أسمائهم، كما أن الذهبي قد يذكر سنوات رحلة العلماء، وفي بعض التراجم لا يذكرها.

٤. أن أغلب الشخصيات التي انتقاها الذهبي كانت ممن برعوا في العلوم الدينية، لاسيما المحدثين منهم، ويعود السبب إلى اهتمام الذهبي بدراسة الحديث النبوي الشريف وتفضيله على بقية العلوم، ثم تأتي في الدرجة الثانية بقية التخصصات كالأدب والنحو واللغة والخطابة.

٥. أن معظم العلماء الذين رحلوا من الموصل إلى بغداد وبالعكس كانوا مشهورين في العلوم التي برعوا فيها، ومن عوائل معروفة سواء من الموصل أو بغداد.

ISSN. 1815-8854

قائمة المصادر والمراجع العربية:

١. جرجيس. (٢٠٠١). مها سعيد حميد. الدور التعليمي للأسر العلمية في الموصل من القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع الهجري. رسالة ماجستير. كلية الآداب. جامعة الموصل.

٢. ابن الدُّبَيْثِيّ. (١٩٧٤). أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعيد. (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م). ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد. (حققه وعلقه عليه: بشار عواد معروف). بغداد: مطبعة دار السلام.

٣. الديوه جي. (١٩٥٨). سعيد. الموصل في العهد الأتابكي. بغداد: مطبعة شفيق.

٤. الذهبي. (١٩٥١). مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان. (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م). المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن سعيد بن مُحَمَّد ابن الدُّبَيْثِيّ. بغداد: مطبعة المعارف. ج١.

٥. الذهبي. (١٩٦٣). مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان. (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م). المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن سعيد بن مُحَمَّد ابن الدُّبَيْثِيّ. بغداد: مطبعة الزمان. ج٢.

٦. الذهبي. (١٩٧٧). مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان. (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م). المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن سعيد بن مُحَمَّد ابن الدُّبَيْثِيّ. (تحقيق: مصطفى جواد). بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي. ج٣.

٧. الذهبي. (١٩٨٨). شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد. (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م). دول الاسلام. (تحقيق: فهيم مُحَمَّد شلتوت ومُحَمَّد مصطفى إبراهيم). قطر: دار احياء التراث الإسلامي.

٨. الذهبي. (١٩٩٨). شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد. (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. ط٢. بيروت: دار الكتاب العربي.

٩. الذهبي. (٢٠٠١). شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان. (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م). سير اعلام النبلاء. ط١١. (تحقيق: شعيب الارنؤوط وحسين الأسد). بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٠. ابن الساعي. (٢٠١٤). علي بن أنجب بن عبيدالله البغدادي (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م). المقابر المشهورة والمشاهد المزورة (تحقيق: إحسان ذنون الثامري). عمّان: دار الفاروق للنشر والتوزيع.

١١. السبكي. (١٩٦٤). تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م). طبقات الشافعية الكبرى. (تحقيق: عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو ومحمود مُحَمَّد الطناحي). القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

١٢. ابن الشعار. (٢٠٠٥). كمال الدين أبو البركات المبارك الموصلي. (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م). قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان. (تحقيق: كامل سلمان الجبوري). بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣. الصفدي. (١٩١١). صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله. (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م). نكت الهميان في نكت العميان. (تحقيق: أحمد زكي باشا) مصر: المطبعة الجمالية.

١٤. الصفدي. (٢٠٠٠). صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله. (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م). الوافي بالوفيات. (تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى). بيروت: دار احياء التراث.

١٥. ابن الطقطقي. (١٩٩٧). مُحَمَّد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية . (تحقيق: عبد القادر مُحَمَّد مايو). بيروت: دار القلم العربي.

ISSN. 1815-8854

١٦. ابن العماد الحنبلي. (د.ت). أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن مُحَّد. (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م). شذرات الذهب في اخبار من ذهب. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

١٧. فهد. (١٩٧٤). بدري مُحَّد. ابن الدُّبَيْثِيّ وكتابه تاريخ بغداد. مجلة المورد. مج٣. ع٣. وزارة الاعلام. بغداد.

١٨. القدحات. (٢٠١٥). مُحَّد عبدالله. أبو الحسن مُحَّد بن أحمد القطيعيّ وكتابه المفقود دُرة الإكليل في تتمة التذييل. مجلة جامعة طيبة للأداب والعلوم الإنسانية. السنة الخامسة. ع١١. السعودية.

١٩. ابن المستوفي. (١٩٨٠). شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد اللخمي الإربلي. (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م). تاريخ إربل المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل. (تحقيق: سامي بن السيد خماس الصقار). بغداد: دار الرشيد للنشر.

٢٠. مطلوب. (١٩٩٢). ناطق صالح. الرحلة في طلب العلم والحياة الثقافية في الموصل. موسوعة الموصل الحضارية. الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر.

٢١. معروف. (١٩٧٦). بشار عواد. الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٢٢. مُحَّد. (١٩٧١). سوادي عبد. امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ. (٦٠٦-٦٦٠هـ/١٢٠٩-١٢٦١م). بغداد: مطبعة الإرشاد.

٢٣. الياسين. (١٩٧٩). مُحَّد مفيد. الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري. بغداد: الدار العربية للطباعة.